الحزب الجمهوري

يدعوالى

طارق محمد

محمـود محمـد طـه

يدعو الى

طريق محمد

الطبعـة الثـالثـة

شعبـان ـ ١٣٨٩
اكتوبـر ـ ١٩٦٩

بتقليد محمد

تتوحد الأمة

ويتجدد دينها

بسم الله الرحمن الرحيم

« يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، الملك ، القدوس ، العزيز ، الحكيم * هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .. » صدق الله العظيم

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه هى الطبعة الثالثة من كتيب « طريق محمد » ، وكانت الطبعة الأولى قد صدرت فى شهر مارس من عام ١٩٦٦ .. ثم صدرت الطبعة الثانية فى شهر أبريل من عام ١٩٦٨ .. وقد صرفتنا ، يومئذ ، بعض الصوارف عن تصديرها بمقدمة خاصة بها .. وها نحن ، اليوم ، نعود لاصداره فى طبعته الثالثة ، من غير أن نضيف عليه ، أو أن نغير فيه ، ذلك بأننا لم نرد به الى التفصيل ، فى المكان الأول ، وانما أردنا به الى الدعوة الى العودة الى طريق محمد ، بعد أن طال عليها الأمد ، وبعد العهد بين الناس وبينها ، حتى اندرست ، وقل سالكو ... فقد المرشدون اليها ..

مـــا هو الطريق

الطريق هو النهج العمـــلى الذى يوصل سلوكه الى الله ، تبارك وتعالى ، .. وليس الى الله ، تبارك وتعالى ، وصـــول بالمعنى الذى يؤديه حرف الكلمة ، وانما المقصود بكلمة الوصول ان يكون حضور السالك مع الله أكثر من غفلته عنه .. والطريق شريعة ، وزيادة .. الطريق شريعة موكدة .. فحين يكون المسلم العـــادى صاحب شريعة ، يـــكون المسلم المجـــود صـــاحب طريقـــة .. ونستطيع أن ندرك هذا بمجرد الملاحظة العابرة لرجل متطرق ، وآخر غير متطـــرق ، فانك ترى أن الرجل غير المتطرق اذا صلى المغرب ، مثلا ، عدد على سبحته ـ وهذا هو الغالب ـ التسبيحات ، والتحميدات ، والتكبيرات ، الثلاث والثلاثين ، ثم انصرف عن مصلاه . هذا فى حـــين أن الرجل المتطرق ينتبذ من مصلاه ناحية يؤدى فيها أساس طريقته من الأوراد التـــى تعتبر الحـــد الأدنى فى أية طريقة .. فلكأن المتطرق صـــاحب « مقطوعية » عاهد على أدائها ، حين أخذ عهد الطريق ، وبذلك يتميز ، ويزيد عن صاحب الشريعة العادى .. ومن أجل هذا قلنا أن الطـــريق شريعة موكدة .. ومن الحديث أن المعصـــوم قد قال : « قولى شريعة ، وعملى طريقة ، وحـــالى حقيقـــة . » وعمله سنتـــه .. وسنتـــه شريعـــة ، وزيـــادة .. شريعة موكدة .. ومن أجل ذلك قد التزم بأشياء ، فى العبـــادة ، وفى السيرة ، لم يلتزم بها أصحابه ، وما ذاك الا لقصورهم عن شأوها ، ذلك بأنهم أصحاب شريعة ، فى حين أنه صاحب طريقة .. ويخطىء كثيرا من يظنون أن عمـــل النبى

خاص به ، وأنا غير مطالبين به .. اذ الحق أنه مطلوب منا أتيانه حين نطيقه ، وما جعل فى حقنا غير ملزم الا لقصورنا ، فاذا استيقنا ذلك نوشك أن نرتفع عن قصورنا لنقتدى بالمعصوم ، فى تمام عمله ، وكمال حاله .. قال تعالى .. « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله» ولا يكون الاتباع الا فى تمام العمل ، وكمال الحال ..

من هو محمد

محمد ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، النبى الأمى ، المبعوث من قريش فى الأميين منذ القرن السابع ، والذى ختم الله به النبوة ، وأنزل عليه القرآن المقروء اليوم، والمحفوظ بين دفتى المصحف ، لا يعرفه المسلمون وأن ظنوا جهلا أنهم يعرفونه .. وهذه الدعوة الى أتباعه ، وحسن تقليده التى يقدمها هذا الكتيب : « طريق محمد » لا تستقيم ، على خير وجوهها ، الا اذا قدمت تعريفا به يجعل أتباعه ، وتقليده ، عملا علميا يحترم أقوى العقول المعاصرة ، ويقنعها بجدوى ممارسته ، واتقانه ..

الرسالة . النبوة . الولاية :

ومن أجل التعريف بمحمد ينبغى تدقيق النظر فى كلمته آنفة الذكر ، وهى قوله :«قولى شريعة ، وعملى طريقة ، وحالى حقيقة .. » فانها تشير الى مراتب مقامه الثلاث : مرتبة

الرسالة ، ومرتبة النبوة ، ومرتبة الولاية .. فأما مرتبة النبوة فانها الأصل ، وهى وسط بين طرفين : من أعلاها الولاية ، ومن أسفلها الرسالة .. ذلك بأن النبوة عندما استوت انبثقت منها الرسالة كوظيفة .. ثم هى كلما زادت استواء تسامت الى مراتب الولاية ، فى الفينة بعد الفينة .. هذا ما من أجله قررنا أن النبوة أصل ..

وانما بالنبوة بدأ الوحى ، فان أول ما نزل من القرآن على اطلاقه ، آيات النبوة من قوله تعالى: « اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم » .. ثم لما استعد المكان نزلت آيات الرسالة ، من قوله تعالى : « يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر » .. وفى بيان هذا الأمر قال المعصوم : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، ثم قال : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ») فان صدر هذا الحديث نبوة ، وعجزه رسالة .. ومع أن هذا الحديث يقرأ فى نفس واحد ، الا أن ما يحكى عنه لم يحدث فى جلسة واحدة .. فان عبارة : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » تحكى أمرا استغرق تمامه أربعين سنة ، وهى مدة استواء النبوة ، بين المولد والبعث الرسولى .. هذا باعتبار النبوة منذ المولد ، وفى الحق ، أن نبوة نبينا أزلية ، وقد بدأ بروزها ، فى عالم المحسوس ، وهو فى خلوة الرحم ، ثم أخذ بروزها الحسى يظهر ، ويزداد ظهورا ، فى أطوار شبيبه المختلفة ، حتى اذا ما اعتزل المجتمع ، وآوى الى غار حراء ، كان أول أطوار نضجها قد بدأ ،

ثم هى لم تلبث أن انبلج فجرها ، بعد خمس عشرة سنة من التحنث ، والتخضع ، وذلك ببدء نزول القرآن ..

وعن أزلية نبوته قال المعصوم : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين . » ومعنى هذه العبارة أنه كان نبيا ، عالما بنبوته ، فى الأزل . وقد ظهر مصداق ذلك عندما برز الى عالم الأجساد ، فانه وهو جنين فى رحم أمه كان يختلف عن الأجنة فى الأرحام ، فقد برىء وحام أمه به مما تتعرض له وحامى النساء من الغثيان ، وخبث النفس ، واستيفاز الشعور . وكان حمله على أمه خفيفا ، تجد بركته فى يقظتها بالصحة ، وبهجة النفس ، وبالمسرة المتصلة .. وتجد بركته فى نومها بالرؤى المفرحة .. وبمثل ذلك اختلفت طفولته ، واختلفت يفاعته ، واختلف شبابه ، حتى لقد أيقن أنه خلق لغير ما خلق له أترابه من الشباب ، ثم لم يلبث ان ألح عليه هذا الايقان حتى اعتزل المجتمع ، وآوى الى الغار ..

وعن مراتب مقامه الثلاث هذه قال ، ليلة عرج به : « سألنى ربى يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت أنت ربى أعلم ، فوضع يده على كتفى ، فوجدت بردها بين ثديى ، فأورثنى علم الأولين والآخرين .. وعلمنى علوما شتى : فعلم أخذ على كتمانه ، اذ علم أنه لا يقدر على حمله غيرى ، وعلم خيرنى فيه ، وعلم أمرنى بتبليغه الى العام ، والخاص ، من أمتى ، وهى الأنس والجن .. » فالعلم الذى أمره بتبليغه للخاص والعام من الأمة ، هو علم الرسالة ، وهى تشمل القرآن المقروء بين دفتى المصحف ، وتشمل تبيين هذا

القرآن ، فى التشريع ، فى مستوى حاجة الأمة .. وفى التفسير ، فى مستوى طاقة الأمة .. وهو قد قال : « نحن ، معاشر الأنبياء ، أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم » فالرسالة ، اذن ، لا تشمل تبيين القرآن كله ، كما يظن بعض الناس ، لا فى التشريع ، ولا فى التفسير ، فان ذلك أمر ممتنع من جملة وجوه .. والعلم الذى خير فى تبليغه يقع بعضه فى حيز الولاية ، ويقع سائره فى حيز النبوة . ويظن بعض الناس أن النبى مأمور بتبليغ كل ما وعى عن ربه ، وذلك ظن شديد الدلالة على قلة بصر هؤلاء بحقائق الدين . .

والنبى ، فى ولايته ، أكبر منه فى نبوته ، ذلك بأنه فى النبوة يتلقى عن الله بواسطة جبريل ، ولكنه فى ولايته يتلقى عن الله كفاحا ، وقد رفعت الواسطة من بين الرب والعبد .. وانما عن ذلك أخبر ليلة المعراج ، حين أخبر أن جبريل ، عندما انتهى الى مقامه عند سدرة المنتهى ، قال له : ها أنت وربك ، وتخلف ، فقال : أهذا مقام يترك فيه الخليل خليله ؟ قال : هذا مقامى ، ولو تقدمت خطوة لاحترقت !! « فزج بى فى النور » ، وهو يعنى هنا نور الذات ، وليس لجبريل بنور الذات طاقة ، لأنه لا ذات له ، (لا نفس له) ، ومن ههنا بدأت ولاية النبى .. فالرسالة وحى بالقرآن المقروء ، ووحى بشرع منه ، أمر النبى بتبليغه لسائر الناس .. والنبوة وحى بالقرآن المقروء ، ووحى بشرع منه ، أمر النبى أن يعمل به فى خاصة نفسه .. فهو بالرسالة صاحب شريعة ، وهو بالنبوة صاحب طريقة .. أو قل صاحب « سنة » .. وبين « شريعته » و « سنته » تداخل ، ومنهما

أرض مشتركة .. ولكننا نعنى هنا بالتكليف الذى به زاد النبى عن سائر أمته ، فى العبادة ، وفى السلوك .. ومن ذاك أن كل شريعته ملزمة لأمته ، ولكن بعض سنته غير ملزمة الا له هو فى خاصة نفسه ، لأنها شريعته الخاصة به .. وهى لا تلزم من أمته الا من التزم بها ، تطوعا ، وسلوكا ، واتباعا ، واتقان تقليد ، على قاعدة : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله .. »

وفيصل القول فى أمر المراتب الثلاث هو أن النبوة مرتبة شريعة خاصة ، تهيأ النبى لها بفضل الله ، ثم بطول الممارسة لحياة الخلوة ، مما أورثه تيقظ الشعور ، وصفاء الفكر .. ثم ان النبى ، بمواصلة المجاهدة فى شريعته هذه الخاصة ، فى العلم ، والعمل بمقتضى العلم ، فى العبادة والمعاملة ، يزيد فى تيقظ شعوره ، وصفاء فكره ، كل حين ، مما يؤهله للنهوض بوظيفة الرسالة ، وتحمل أعباء الاشارد ، والتسليك ، والهداية ، بصورة تزيد كل يوم جديد .. وفى هذا الطرف من النبوة — طرف الزيادة — تقع الولاية .. لأنها هى الطرف الرفيع ، اللطيف ، من النبوة ، فى حين أن الرسالة هى الطرف الغليظ ، الكثيف منها .. وعن استمرار تيقظ حياة فكره ، وحياة شعوره ، قال : « انه ليغان على قلبى ، حتى استغفر الله ، فى اليوم والليلة ، سبعين مرة .. » وهو فى كل مرة يستغفر فيها الله تعالى يرقى درجة من درجات القرب من سدة القدس .. والغان ههنا حجاب النور .. وهو يعنى حجاب الفكر .. فهو كلما تغشى فكره فى الله كدر من دواعى الجبلة ، استغفر الله ، فعاود الصفاء فكره ، واتسعت لهذا الصفاء حياة الشعور ، وذلك لما يتلقى القلب من فيوضات التراويح .. تراويح القرب .. وعن قمة ترقيه فى مشاهد هذا

القرب ـ وهى مشاهد ولاية ـ قال : « لى ساعة مع الله لا يسعنى فيها ملك مقرب ، ولا نبى مرسل .. » ..

فكأن المراتب الثلاث : نبوة أهلت ، من أسفلها ، لرسالة ، وأثمرت ، من أعلاها ، ولاية .. ثم ان هذه النبوة لا تستقر ، وانما هى منطلقة فى مراقى الزيادة ـ علم ، وعمل بمقتضى العلم ـ وفى ذلك قال تعالى لنبيه : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ، وقل ربى زدنى علما » . وكلما زادت أنوار النبوة ، زاد التأهيل للنهوض باعباء الرسالة من جانب ، وتندحت الولاية بأطايب الثمرات من الجانب الآخر .. وما ثمرات الولاية الا دقائق المعرفة بالذات العلية .. وانما بهذه المعرفة لدقائق ، ولطائف ، أسرار الذات القديسة ، تتوحد الذات المحدثة .. وذلك باتساق القوى المودعة فى البنية البشرية ، اتساقا به يتم السلام الداخلى ، وبه يحقق كل فرد فرديته التى بها ينماز عن أفراد القطيع البشرى .. فان تحقيق فردية كل فرد منا بفضل توحيد ذاته البشرية هو غاية المراد من تعبدنا الله بعقيدة التوحيد ، ذلك بان ذات الله فى غنى عن التوحيد ، وانما المحتاج للتوحيد هى الذات البشرية التى فرقها الخوف أباديد ..

الاحمدية والمحمدية

لقد أنى للناس ان يميزوا بصورة دقيقة ، ليس بين النبوة والرسالة فحسب ، وانما بين الاحمدية والمحمدية أيضا .. فالاحمدية نبوة ، والمحمدية رسالة .. ونبينا محمد بن عبد الله جمع بين الاحمدية والمحمدية .. فهو احمدى النبوة ، محمدى الرسالة .. أو قل هو مما يلى الله احمدى ، ومما يلى الناس

محمـدى .. هـو احمـد فى السماء ، محمـد فى الأرض ..

والفـرق بين الاحمـدية والمحمدية كبير .. المسافة بعيدة بين الاحمدية والمحمدية .. فأن المحمدية تنـزل من الأحمدية ، اقتضاه حكم الوقت وعين مستواه حاجة الأمـة فى القرن السابع ، وطاقتها .. وهذه المسافة تمثل الفرق بين السنـة والشريعـة ، وهذه تحكى الفرق بين مستوى النبى ، ومستوى الأمة ، وهـو فرق شاسع جدا .. وقـد قلنا مرارا كثيرة ان النبى لم يكن من مجتمع القرن السابع الميـلادى ، وانما هو قد أتاهم من المستقبل ـ أتاهم من القرن العشرين ـ وهو ، وان عـاش معهم ، فأنمـا كان يعايشهم ، ويعاشرهم ، ولكنه لم يكن منهم . فقد كان هو المسلم الوحيـد بينهـم ، وكانـوا هم المؤمنين .. فقد روى عنه أنه قال ذات يوم : « واشوقاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قـالـوا : اولسنا أخـوانك يارسول الله ؟ قـال : بل انتـم أصحـابى .. واشوقاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا أو لسنـا أخوانك يارسول الله ؟ قـال : بل انتـم أصحابى .. واشوقـاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : من أخوانك يارسـول الله ؟ قال : قوم يجيئون فى آخـر الزمان ، للعامل منهم أجر سبعين منكم !! قالوا : منا ، أم منهم ؟ قال : بل منكم !! قالوا : لماذا ؟ قال : لأنكم تجدون على الخير أعوانا ، ولا يجدون على الخير أعوانا » .. وروح هذا الحديـث فى التفـريق بين الأصحاب والأخوان .. فقـد كان المؤمنـون أصحـابه ، ولم يكونوا أخوانه .. وانما أخوانه المسلمـون ، وهم لم يكـونوا حاضريه يومئذ ، وانما كان هو فرطهم .. وقد عبر عنهم بقوله : « الذين لما يأتوا بعد » : وحديثه

عنهم، وتعبيره، مأخوذان من قول الله تعالى فى الآيات الكريمات التى صدرنا بها هذه المقدمة ، وذلك قوله : « وآخرين منهم ، لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم » فبعد أن تحدث عن الأميين الذين بعث فيهم نبينا : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وان كانوا ، من قبل ، لفى ضلال مبين » جاء ليقول : « وآخرين منهم ، لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم » .. فالأولون هم الأصحاب ، والآخرون هم الأخوان الذين قال عنهم نبينا فى حديثه « الذين لما يأتوا بعد » أخذا من عبارة القرآن : « لما يلحقوا بهم » .. وعبارة النبى : « للعامل منهم أجر سبعين منكم » مأخوذة من القول الكريم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » ..

ويؤخذ من دقائق حقائق الدين أن نبينا رسول الأمتين : الأمة المؤمنة ــ الأصحاب ــ .. والأمة المسلمة ــ الأخوان ــ .. وأنه بذلك صاحب رسالتين : الرسالة الأولى محمدية ، والرسالة الثانية احمدية .. أوقل الرسالة الأولى الشريعة التى فصلها للأمة ، والرسالة الثانية السنة التى اجملها ، ولم يفصلها الا فى معنى ما مارسها ، وعاشها دما ولحما ..

وهو قد قال : « بدأ الأسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء ! قالوا : من الغرباء ، يارسول الله ؟ قال : الذين يحيون سنتى بعد اندثارها .. » وهو حديث قد اشرنا اليه من قبل فى هذه المقدمة ، ولفتنا الانتباه الى أنه لم يقل يحيون شريعتى ، وانما قال : « يحيون سنتى » . ولابد

لمن يريد أن يعرف دقائق الدين ان يملك المقدرة على التمييز بين الشريعة والسنة ، وذلك أمر يقصر فيه كثير من الناس ، ممن يتصدون للحديث عن الدين ، ان لم نقل كلهم ..

وفى قول الله تعالى : « واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهو يدعى الى الاسلام ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين » اشارة لطيفة الى الأحمدية والمحمدية .. فانه قد جاء محمد بنبوة احمدية ، ورسالة محمدية .. فكان احمد المشار اليه من وجه ، ولم يكنه من وجه .. فدعا الى الايمان تفصيلا ، ولم يدع الى الاسلام الا اجمالا ، فى معنى ما بلغ القرآن ، وفى معنى ما سار السيرة .. وقد استجابت له أمة المؤمنين .. وسيجىء محمد بنبوة احمدية ، ورسالة احمدية ، فيدعو أمة المؤمنين ، ويدعو غيرها من سائر الامم الى الأسلام ، ويفصل ، فى التشريع ، وفى التفسير ، ما اجمل فى القرن السابع .وسيستجاب له استجابة مستفيضة ، ذلك بأن وعيد الله يومئذ سيستعلن .. وذلك حيث يقول ، جل من قائل ، : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين .» ووعد الله سيتحقق ، وذلك حيث يقول ، تبارك من قائل : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا . »

ولما كانت البشرية ، على عهد الجاهلية الأولى ـ جاهلية القرن

السابع ــ متخلفة ، وساذجة ، وجاهلة ، فقد اقتضى حكم الوقت تنزل المحمدية عن الأحمدية تنزلا كبيرا ، وذلك حتى تخاطب الناس على قدر عقولهم ، وحتى تشرع لهم فى مستوى حاجتهم ، وهى حاجة بسيطة . وكان هذا التنزل من مستوى آيات الأصول فى القرآن ، الى آيات الفروع .. واصبحت بذلك آيات الفروع صاحبة الوقت ، واعتبرت ناسخة، فيما يخص التشريع ، لآيات الأصول . وقد عالجنا هذا الأمر بتوسع فى كتابنا « الرسالة الثانية من الاسلام » وهو كتاب قد خرجت طبعته الثالثة قبل أيام قلائل ، فليراجعه من شاء .. والآن ، وفى النصف الثانى من القرن العشرين ، والبشرية تعيش الجاهلية الثانية ــ جاهلية القرن العشرين ــ وهى جاهلية أرفع ، بما لا يقاس ، عن مستوى جاهلية القرن السابع، فقد أصبحت الأرض مهيئة لتتلقى عن الأحمدية، وتعى ، أكثر مما تلقى ، ووعى ، أسلافها ، وكذلك جاء وقت الرسالة الأحمدية .. والرسالة الأحمدية تطوير للرسالة المحمدية .. وذلك ببعث آيات الأصول التى كانت فى عهد المحمدية منسوخة لتكون هى صاحبة الوقت فى القرن العشرين ، وتكون هى عمدة التشريع الجديد ، ولا يقتضى كل أولئك الا فهما للقرآن جديدا ، به تحيا السنة بعد اندثارها ..

الذات المحمدية

الذات المحمدية أول قابل لتجليات الذات الالهية .. وهى المشار اليها فى حديث جابر بن عبد الله الانصارى ، قال قلت : « يا رسول الله ، بأبى انت ، وأمى ، أخبرنى عن أول شىء خلقه الله .. قال : أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر . »

والذات المحمدية حقيقة احمدية ، قمتها ولاية ، وقاعدتها نبوة .. ومقامها المقام المحمود الذى قامه النبى ليلة عرج به بعد أن جاوز سدرة المنتهى ، وفيه صح له الاتصاف بقوله تعالى : « ما زاغ البصر ، وما طغى » . وذلك فى جمعية بلغت فيها وحدة الذات البشرية قمة طوعت لها شهود الذات الالهية ..

ثم ان النبى لم يلبث ان عاد ، بعد تلك الالمامة النورانية ، الى حياته العادية فى مكة ، وكان الله قد آتاه معراجا يوميا ، وأمره بالمداومة عليه ، ومناه أن يبلغه به ، على مكث ، المقام الذى قامه بين يديه ليلة المعراج .. فقال تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .. ذلك المعراج هو الصلاة .. فقد كان محمد بنهاج الصلاة ، فى المكتوبة ، والنافلة — ليلا ونهارا — يقترب ، كل لحظة ، ويعرج ، كل حين ، ويحقق ، فى الدم واللحم ، المقام الذى اطلعه الله عليه ليلة المعراج .. وهذا ما من أجله قال : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وقرة العين تعنى طمأنينة القلب ، ولا تكون طمأنينة القلب الا بجمعية النفس بعد التوزع .. ولقد حقق محمد هذه الجمعية بفضل اطلاعه على وحدة الذات الالهية . فاطمأنت نفسه ، واحلولت شمائله ، واكتملت حريته .. وأكبر دليل عندى على كمال حريته الداخلية عزوفه عن السيطرة على الآخرين .. فالمعروف عنه أنه كان يكره أن يتميز على أصحابه . وكان يحب أن يكون كأحدهم . وكان ينهاهم أن يعظموه ، ويقول لهم : لا تعظمونى كما تعظم الأعاجم ملوكها . وكان يقول : من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار .. ووفد عليه ،

ذات مرة ، رجل فأخذته هيبته ،فلجلج ، ولم يستطع أن يبين عن حاجته ، فقال له : هون عليك !!فانى لست ملكا ، وأنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .. فسرى عن الرجل ، واستعاد رباطة جأشه ، وكرامة انسانيته .. ولقد خير : أيكون نبيا ملكا ؟ أم يكون نبيا عبدا ؟فاختار أن يكون نبيا عبدا .. والعبودية لله هى غاية الحرية ،وكلما زاد العبد فى التخضع لله ، كلما زادت حريته .. والعكس صحيح .. فالملك تسلط على الآخرين ، وبه تنقص عبودية العبد ، وتنقص ، تبعا لذلك ، حريته ، ولذلك فقد آثر الحرية ،فى معنى ما آثر العبودية لله ..

هذه نفس اكتملت لها عناصر الصحة الداخلية ، واتسقت قواها الباطنية ، وتحررت من الاوهام ، والاباطيل ، وسلمت من القلق ، والخوف العنصرى ،البدائى ، الساذج ..

ما أحوج بشرية اليوم ،كلها ، الى تقليد هذه النفس التى اكتملت لها أسباب الصحة الداخلية ، تقليدا متقنا يفضى بكل رجل ، وكل امرأة ، الى احراز وحدة ذاته ، ونضج فرديته ، وتحرير شخصيته ، من الاضطراب ، والقلق الذى استشرى فى عصرنا الحاضر بصورة كان من نتائجها فساد حياة الرجال والنساء والشبان .. فى جميع أنحاء العالم ..

والمسلمون ما خطبهم ؟

المسلمون ، اليوم ، ليسوا على شىء ، وانما هم فى التيه .. يعيشون الجاهلية الثانية ـ جاهلية القرن العشرين ـ والعاملون منهم بالدين لا يتعدى عملهم القشور الى اللباب .. وليس لهم الى

خروج من هذا الخزى غير طريق محمد .. ونحن اذ نقدمه لهم فى هذا الكتيب ، واذ ندعوهم اليه ، ننذرهم عواقب الابطاء فى الأخذ به .. ثم أننا ، من وراء المسلمين ، وبعد المسلمين ، نقدمه للانسانية جمعاء ، فليس لها من طريق غيره الى كمال التحرير ، ولا كمال التمدين .. ومن أجل ذلك فقد جاءت عبارة اهدائه هكذا :-

« الى الراغبين فى الله ، وهم يعلمون ، والراغبين عن الله ، وهم لا يعلمون .. فما من الله بد . »

العودة

قال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا » .. ولما يظهر الاسلام على الدين كله ، وانما ظهوره أمامنا ذلك وعد غير مكذوب .. وقال المعصوم : « بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء !! قالوا : من الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يحيون سنتى بعد اندثارها » ..

فالاسلام عائد ، ما فى ذلك أدنى ريب .. وستصحب عودته الغرابة ، كما صحبت بدأه .. وما ذاك الا لأن عودته ستكون عن طريق بعث « لا اله الا الله » من جديد ، قوية ، خلاقة ، فى صدور الرجال ، والنساء ، كأول العهد بها - باختلاف واحد ، هو أن عمود التوحيد ستكون له قمة جديدة ، أعلى مما كانت عليه فى العهد الأول ، وذلك أمر يقتضيه حكم الوقت الحاضر ، كما يقتضيه محض الفضل الالهى ، المحكى فى الآية الكريمة : « كل يوم هو فى شأن » ..

وانما من أجل تمهيد طريق هذه العودة أخرجنا هذا الكتيب، : «طريق محمد» ، وقمنا بالدعوة اليه .. وانما من أجل هذا التمهيد كتبنا هذه المقدمة الطويلة، للطبعة الثالثة من هذا الكتيب المهم .. فان التقليد بغير وعى ،وتمام ادراك ، قليل الجدوى ، وقد يكون عملا آليا لا روح فيه قصاراه التعب .. ولكى يكون التقليد موصلا للثمرة المرجوة منه وجب أن ينبعث عن ثقة بالمقلد ، وطمأنينة اليه ، .. وتوقير ،وتقديس .. ومحبة له ..

التقديس والتوقير

وأيسر ما يقوم عليه التقليد النافع أن يكون صدر المقلد منطويا على قدر كبير من التقديس، والتوقير للنبى ، وهذا ما من أجله أخذ الله الأصحاب بالأدب معه ، وأمرهم بالصلاة عليه ، فقال ، عز من قائل : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه ،وسلموا تسليما » .. ونحن هنا قد قررنا أن الأصحاب هم المؤمنون ، والأخوان هم المسلمون . وفى كتابنا « الرسالة الثانية من الاسلام » قلنا أننا سنفهم القرآن فهما جديدا اذا استطعنا أن نميز بين مرحلة المؤمنين ، ومرحلة المسلمين . وفصلنا الأمر هناك تفصيلا يغنينا عن الاعادة هنا .. فليراجع فى موضعه .. ونكتفى هنا بأن نقرر أن المسلمين أقرب الى الله من المؤمنين .. وصلاتهم لله اتم واكمل من صلاة المؤمنين له .. وصلاتهم على النبى اتم وأوفى من صلاة المؤمنين عليه .. والمسلم ، اذا اكتملت حقيقته ، انبثقت منها شريعته ، فاصبح صاحب شريعة فردية فى الصلاة لله ، وفى الصلاة على النبى ،لا يتقيد فيهما بنهج صلاة المؤمنين فى كل أولئك .. وهو انما تكتمل له حقيقته ، وتبرز له شريعته

الفردية منهـا ، بفضل الله ، ثم بفضل حسن تقليـده للنبى ..
وما من مسلم الا وقد مر بمرحلة المؤمنين ... والأمة المسلمـة تبدأ بمرحلة الأمـة المؤمنة ..والفرق بين المسلمـين ، وهم فى مرحلة الايمان ، وبين المؤمنين ،هو أن الطريق مفتوح للتطور فى السلم السباعى فى حق المسلمين ،فى حين أنه مقفول ، عند الدرجة الثالثة ، فى حق المؤمنين ..

ومحمد ، وهو رسول للامة المسلمة ، صاحب رسالة أكبـر منه وهو رسول للامة المؤمنة ..فهو فى رسالته للمسلمين احمدى، وفى رسـالته للامـة المؤمنـة محمدى ، وسـبب الفرق بين الرسالتين حكم الوقت .. الفرق بـين وقـت الرسـالـة الأولى ـ القرن السابع ـ .. ووقت الرسالة الثانية ـ القرن العشرين .. من أجل الاشـارة الى هـذه المسائل صدر هـذا الكتـاب ، من تحت يدنا ، من غير اثبـات الصلاة اللفظية على النبى ، مع أنه كله صلاة عليه فى مستوى أرفع مما يصلى عليه المصلون ..

وأصحابنا لا يهملون الصلاة اللفظيـة وهم يقرءون هـذا الكتاب ، أو كلما ذكر عنـدهم النبى الكريم .. وهذا ما يجـب أن يكون عليـه الشأن أثنـاء السير ، والتطور نحو الاسلام ، وعند الاسلام ؟؟ .. « قل كل يعمل على شاكلته .. »